بسم الله الرحمن الرحيم

«منى ومشروع الفكر الغربيّ»

أ. د. طه جابر العلواني

كان المعهد قد اعتمد خطته التي نشرت في كتابه الأول «**أسلمة المعرفة**» الَّذِي أصدره المعهد بالإنكليزية في بدايات التأسيس، ثم تُرجم إلى العربيَّة، وطُبع في الكويت. وكان مشروع المعهد الفكريّ في تلك المرحلة يقوم على دعامتين أساسيَّتين:

الأولى: إعداد خلاصات للفكر الغربيّ في العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة.

والثانيّة: إعداد خلاصات في التراث الإسلاميّ يمكن أن تبرز الفكر الإسلاميّ في العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة كذلك، لإنّ الهدف في تلك المرحلة كان محدّدًا في إنتاج «**كتب منهجيَّة**» تكون مصادر ومراجع للطلبة الجامعيّين، على أمل أن يؤدّي ذلك إلى بناء تعليم جامعيّ يمكن أن يقدّم للأمَّة خريجين يجمعون بين «**الأصالة والمعاصرة**» ويتجاوزون حالة الفصام بينهما، وفي الوقت نفسه يمكن إعادة الارتباط بين القيم والمعرفة، وإعطاء المعرفة نوعًا من الغائيّة التي نبّه القرآن المجيد إليها، وذلك سوف يؤدّي إلى ربط المعرفة وقضاياها بأبعاد «**الاستخلاف الإلهيّ للإنسان**» كما أنّ هذه الخلاصات ستُمكن الأساتذة المسلمين من الاطّلاع في أوقات معقولة تناسب أوقاتهم الضيِّقة، وانشغالاتهم الكثيرة، على أهم مَا في الفكر الغربيّ فيطلع التراثيّ على الفكر الغربيّ، ويطّلع من تعلّم في الغرب أو تعلّم العلوم في صياغتها الغربيّة على التراث الإسلاميّ ؛ وبذلك يمكن أن تحصل الأمّة على طاقات مطّلعة متمكنة من ناحيتي «**الأصالة والمعاصرة**» في وقت قياسيّ يسمح بانتظار تخرج الطاقات الشابّة التي ستكونها الكتب المنهجيَّة المنتظر إنتاجها.

كان المشرف والمتابع لقضايا الوصول إلى «**خلاصات الفكر الغربيّ**» الشهيد إسماعيل فاروقي الَّذِي اغتالته هُوَ وزوجته الشهيدة لمياء، في «**ليلة 19 من شهر رمضان المصادف لأواخر شهر مايو عام 1986م**» يدٌ آثمة لم تعرف دوافعها الحقيقيَّة حتى الآن !!.

و«**منى**» انتقلت إلى الدار الآخرة «**عصر 23 رمضان 1429 هـ الموافق 2008/9/23**» !! وهي شهيدة أيضًا عند جمهور العلماء الّذين يرون الموت في الغربة «**شهادة آخرة**» كالغريق والمحترق. إضافة إلى تلك المعاناة من السرطان التي لم تكن تطيقها الجبال.

كان اللقاء الأول بين «**منى**» والمعهد لقاءً بينها وبين الشهيد فاروقي تم في «**نياجرا فولس**» حيث كان والد «**منى**» د. عبد المنعم أَبُو الفضل –يرحمه الله– يشارك في مؤتمر، فذهبت «**منى**» من «**نورفك**» حيث كانت تقيم أستاذًا زائرًا على برنامج «**فولبرايت**» لزيارة أبيها، وكان د. فاروقي مشاركًا في ذلك المؤتمر فالتقيا، وانبهر الفاروقي بأفكار «**منى**» ولغتها، وما إن عاد حتى طلب منّي وكنت نائبه في رئاسة المعهد إعداد عرض للدكتورة «**منى**» للعمل في المعهد على مشروع «**الفكر الغربيّ**» معه ؛ وقال وهو فرح جدًا : «**إذا انضمت منى إلينا أستطيع القول بأن فريق الفكر الغربيّ قد تكوّن... وأن المشروع سيكون قابلا للإنجاز**».

بالنسبة لي كنت أبحث عن زوجة لظروف عائليَّة خاصّة ؛ فسألته أهي متزوجة ؟ قال: لم أسألها، ولكن هاهُوَ تلفونها في «**نورفك**» فاتّصل بها وادعُها لاجتماع هنا لبحث موضوع العمل، ونُقدم لها العرض وتكون هناك فرصة لمعرفة الوضع الشخصيّ لها.

ولم أتأخر؛ فخلال أسبوع كلمتها ووجهتُ لها الدعوة وأرسلتُ لها تذكرة الطائرة وذهبت بنفسي لاستقبالها في المطار ومعي صديق آخر، وفي ضوء ذكرها لما كانت ترتدي عرفناها من بين الركاب، وتوجّهنا إلى مكتب للمعهد قديم كان مستأجرًا في منطقة «**رستن**» وجلسنا جلسة العمل الأولى، وتم التفاهم المبدئي بيننا، د. فاروقي وأنا من ناحية، ود. «**منى**» من الناحية الأخرى. وجاء وقت الغداء فكلّفت صديقي باصطحابها إلى مطعم إيرانيّ في العمارة نفسها في الدور الأرضيّ، ومفاتحتها في الزواج منّي دون إخفاء شيء عليها فيما يتعلق بالأبناء أو أمّهم، ولم يتركها حتى حصل منها على الموافقة المبدئيّة على أن تكون هناك فرصة لقاء آخر ؛ لإنّ لديها مَا ينبغي أن تناقشه معي مباشرة، وتم الاتفاق على الأسبوع التالي وخرجنا من ذلك اللقاء باتفاق تام على العمل والزواج، كان القانون الأمريكيّ لا يسمح بإعطاء من يأتي على برنامج «**فولبرايت**» والبرامج المماثلة تأشيرة دخول إلى أمريكا إلا بعد عودته إلى بلده، وقضائه مَا لا يقل عن سنة في خدمة المؤسَّسة التي انتدبته لذلك البرنامج فتقرَّر أن تعود إلى القاهرة لقضاء عام دراسيّ فيها ويقوم المعهد خلال ذلك العام بإطلاعها على برامجه وأهدافه، وتهيئة نفسها للالتحاق بمجرد انتهاء العام. أمّا موضوع الزواج فحين رأينا أنّه لا يغيّر من الوضع القانونيّ شيئًا فقد اتفقنا على إعلان الخطوبة أو عقد القران أو كليهما معًا فتم ذلك قبل مغادرتها إلى القاهرة في احتفال ضم جميع رجال المعهد وأسرهم والعاملين، وألقى د. فاروقي خطبة رائعة بالمناسبة، وتم عقد القران و«**منى**» كانت تظن أنّها مجرد خطبة، ثم تبعتها إلى القاهرة حيت تم الزواج برعاية والديها–رحم الله الجميع.

واستُشهد فاروقي وزوجته –رحمهما الله– فيما كنت في السودان لمتابعة الأعمال التحضيريَّة لمؤتمر «**إسلاميّة المعرفة الدوليّ الرابع**» الَّذِي عقد في 1986 م فعدت إلى القاهرة لزيارة «**منى**» وتطمينها والتشاور معها في كيفيّة سد الفراغ الَّذِي تركه الفاروقي ولمياء في مجال «**الفكر الغربيّ**» و«**خلاصات الفكر الغربيّ**» فوعدت بأن تهيئ أفكارها وخططها للقيام بهذه المهمة الّتي لن تكون سهلة.

بداية المشوار:

انتهت السنة وحصلنا لها على تأشيرة دخول إلى أمريكا بعد أن ساعدتنا الكليّة وجامعة القاهرة بإعطاء «**منى**» اجازة لمرافقة الزوج وإعارة للمعهد لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد بعد مراجعتنا د. فاروقي وأنا للسفير المصريّ –آنذاك– السيد عبد الرءوف الريدي وذلك قبيل استشهاد د. فاروقي بقليل.

ووصلت «**منى**» في «**خريف 1986م**» إلى فرجينيا، وعرضت عليها أن نقضي وقتًا في أيّ مكان أو منتجع في أمريكا ؛ فقالت : ليس قبل أن أعرف مَا ينتظرني من عمل لتعويض جهود الشهيدين فاروقي. كنت قد استأجرت شقة صغيرة من غرفة نوم واحدة وصالة في «**رستن**» حيث لم أكن قد بنيت منزلي الحاليّ في «**هرندن**». فسكنّاها معًا، وأدهشني زهدها وعدم رغبتها في اقتناء الملابس الفاخرة والأثاث الغالي وما إلى ذلك، وإذ أن رغبتها –كلّها– كانت منصبَّة على الكتب، والمجلات العلميَّة والأكاديميَّة المختلفة. في اليوم التالي صحبتها إلى المعهد، وبعد فترة استطعنا أن نصل إلى صندوقين صغيرين من الكارتون فيهما مجموعة من أوراق مصوَّرة عن كتب ومجلات وبعضها ملازم من كتب، معها بعض رسائل تكليف موجّهه من الفاروقي إلى بعض الأساتذة وردود بعض أولئك الأساتذة الأمريكان عليها.

لم ينقض دوام ذلك اليوم حتى جاءت «**منى**» لتقول: أهذا كل مَا تركه الشهيد فاروقي في هذا الموضوع ؟! قلت لها: هذا أهم مَا وجدناه في مكتبه ومكتبته في المنزل وفي الجامعة. قالت: هذا لا يعني شيئًا كثيرًا في المشروع، وإلمام الأساتذة المسلمين الذين لم يدرسوا الفكر الغربيّ لا يتحقق بهذه الطريقة الآليّة، «**فالمثاقفة**» و«**نقل الأفكار**» له طرق وسبل أعقد بكثير من التصور المطروح، ولذلك فإنَّني أحتاج إلى مساحة من الحريّة أوسع، وفسحة في الوقت أكبر لوضع تصوّر لعلّه يكون أكثر فاعليَّة من التصوّر المطروح!!.

قلت : إنّ الخطوات التي حدّدتها المجموعة بتصور فاروقي باثنتي عشرة خطوة، ثم صارت ثماني، ثم آلت إلى ستة، إنّما قادت إليها فكرة إنتاج «**كتب منهجيَّة أكاديميَّة**» فالتصور انطلق من «**آليّات الإجراءات لا من قواعد بناء الأفكار**» ودار بيننا نقاش طويل في هذه النقطة ؛ قلت لها في نهايته : لو أن

فاروقي كان حيًّا لتمكنا «**ثلاثتنا**» من تعديل الخطة وفقًا للتصور الَّذِي تطرحين ؛ لإنّ مَا تطرحينه يعني تعديلا جوهريًّا على مستوى الفكر والمبادئ والاستراتيجيّات؛ ومع ذلك فإنّني سأبذل كل مَا في وسعي لإقناع الإخوة في قيادة المعهد بهذا التصور فامض على بركة الله –تبارك وتعالى– والله معنا؛ لإنّ الوقت لا ينتظر، قالت : أريد مرونة في ميزانيّة شراء الكتب وفي الوقت، فقد أعمل في بيتي وفي مكتبة الكونغرس ومكتبات الجامعات فلا ينبغي أن تحاسبوني على الدوام والحضور في المكتب ؛ بل على مَا أفعل وأنتج، فقلت: موافق.

تصفّحت «**منى**» كتب مكتبة الشهيد فاروقي في أيام معدودة ؛ وقالت : إنّها تسد جزءًا من الحاجة لا كلّها، فقلت : لك مطلق الحريّة في شراء مَا تحتاجين لتحقيق الهدف، وسأحاول توفير مَا يلزم بخفض الإنفاق في بعض المجالات الأخرى.

ثم بدأت تواظب على الذهاب يوميًّا لمدة لا تقل عن ست ساعات إلى مكتبة الكونغرس حتى حصلت على امتياز خاص لا يتمتع به إلا أعضاء الكونغرس والباحثون معهم فأُعطيت ركنًا خاصًّا بها في المكتبة تستعير من المكتبة مَا تشاء وتضعه في ذلك الركن الخاصّ بها الَّذِي كان يشتمل على عدة أرفف، فتصور فصولا أو كتبًا نادرة بأكملها وكلها في «**فلسفات الفكر الغربيّ في مدارسه المتنوّعة**» وصرنا نسمع الكثير منها عن المدرسة الفرنسيّة والألمانيّة والبريطانيّة والأمريكيَّة والاختلافات الجوهريَّة والثانويّة بين تلك المدارس في كثير من الأمور؛ ثم بدأت تغوص وراء جذور تلك المدارس الفكريّة وترصد المؤثّرات التي أثَّرت في كل منها، والتطورات التي مرت بها، فتضع يديها على مؤثِّرات دينيَّة خفيَّة ترجعها بمهارة نادرة إلى التلمود والعهدين القديم والجديد، إضافة إلى الفلسفات الإغريقية واليونانيَّة والمنطق الأرسطيّ وفلسفات المشّائين والرواقيّين وفلسفة الإشراق وتربط بين العلوم المعاصرة الإنسانيّة والاجتماعيّة وبين تلك الجذور.

واستغرقها ذلك ؛ وكانت تأتي في المساء فرحة رغم حالة الإعياء البادية عليها إذا اكتشفت شيئًا وتنسى نفسها وطعامها وشرابها إلا القهوة والشاي، وكم كنت أجادلها في ذلك، وفي ضرورة العناية بصحتها وإعطاء البدن حقه فلم تكن تلقي لذلك بالا إلا قليلا.

تقريرها عن مشروع الفكر الغربيّ:

وتحت إلحاح الإخوة في قيادة المعهد الذين كانوا حريصين على الحصول على منتجات عاجلة تسد فراغ الباحثين و العلماء المتعاونين؛ سألتها بعد حوالي عشرة أشهر «**منى**» إذا أردنا أن نحدّد مَا حققته خلال هذه الفترة –وهي ليست قصيرة– ليدرك الآخرون مَا أنجزته فهم لا يعيشون معك مثلي، وينظرون للأستاذ

الباحث بمعايير ظاهرة مثل نشر بحوث بين فترة وأخرى، وإعداد أوراق عمل، والإشراف على ندوات وما إلى ذلك، فما الَّذِي نقدمه لمثل هؤلاء، فأرجو أن نقوم بوقفة ولو لشهر واحد أو أقل، لنحاسب أنفسنا فيها على مَا حققنا، ونعدُّ تقريرًا مناسبًا. يمكن بلورة تصور ماليّ وزمنيّ، وما قد تحتاجه أعمالك من طاقات بشريّة لمساعدتك.

فقالت : لا مانع ؛ لكنّني لم أكن أدوّن مَا أفعل بدقة وتفصيل فقد كنت أريد أن أقوم بعمليَّة مسح شامل «**للفكر الغربيّ**» بمدارسه المختلفة متتبِّعة تطوُّره التاريخيّ، وأهم العوامل المؤثرة في سيرورته وتطوره، ثم أبدأ بوضع تصوراتي !!

قلت: لكنّني أخشى أن تكوني سابحة في محيط لن تخرجي منه فنريد تحديد نقاط ومحطات لنا، علمًا بأنّني أدرك أن مَا تفعلينه هام جدًا وضروريٌّ، وجهدك هذا لو قسم على عشرة من الأساتذة والعلماء الباحثين لاستغرق أوقاتهم، ولذلك فسأكلف مساعدًا أو أكثر بالعمل معك وتحت تصرّفك لمساعدتك في حصر حصيلة الأشهر العشرة الماضية وإعداد تقرير عنها نقدمه في ندوة خاصّة، أرجو أن نوفق إلى استقطاب بعض العناصر ذات الخبرة في «**الفكر الغربيّ**» للمشاركة فيها ومحاورتك فيما توصلت إليه ؛ فرحبت بذلك، ثم سألتها سؤالا عابرًا : «**منى**» كم تقدّرين عدد الكتب التي اطّلعت عليها في هذه الفترة سواء من مكتبتنا أو مكتبة الكونغرس أو الّتي اشتريتها واقتنيتها لصالح المشروع ؟ قالت : أمهلني لأخبرك بشكل تقريبيّ لا مبالغة فيه، ثم أخبرتني بعد عدة أيام بأنّها لا تقل عن ثلاثة آلاف كتاب، من واقع إيصالات الاستعارة، وإيصالات الشراء، والكتب التي كانت تؤخذ من على الرفوف فيجرى تصفحها وتعاد.

إنّني كنت أستغرب حين أقرأ في سير علمائنا المتقدّمين أنَّ الإمام فلانًا قرأ في العلم الفلانيّ عشرين ألف ورقة وأربعين ألفًا ... قبل أن يؤلف في ذلك العلم.

وكنت أشعر بأنَّ القول بأنَّ فلانًا، كالغزالي والرازي وإمام الحرمين ومن إليهم قد ترك مَا يزيد عن أربعمائة مؤلف. وقد كتب عبدالرحمن بدوي –يرحمه الله– مجلد في حصر مَا وصل إليه من كتب الغزالي والتعريف بها.

وأحصيتُ للفخر الرازي مائتين وثلاثًا وعشرين مؤلّفًا ثبتت عندي صحة نسبة ثلاث وتسعين ومائة منها إليه، منها «**تفسيره الكبير**» باثنين وثلاثين مجلدًا، و«**نهاية العقول**» بثماني مجلدات، و«**المحصول**» بستة مجلدات، ثم وجدت مؤلفًا لأحد علماء الشام هو السيد العظم عنوانه «**عقود الجوهر فيمن له خمسون مؤلفًا فأكثر**»، وقد زال استغرابي –كلّه– حين رأيت «**منى**» وتابعت مسيرتها خلال أربع وعشرين

عامًا، فلم أعد أرى في شيء من ذلك مبالغة، فهذه «**منى**» نموذج ماثل أمامي يبيِّن القدرات الهائلة التي يمكن أن تبرز عند إنسان جادّ يرى البحث العلميّ رسالة ودينًا.

كانت «**منى**» أسرع من عرفت حتّى يومي هذا في القراءة مع الإلمام المتميِّز بكل مَا تقرأ سواء أكان ذلك بالانكليّزيّة أو العربيّة، وكثيرًا مَا كانت تقف في المطبخ لإعداد شاي أو قهوة وتكون قد أتت بكتب تركتها على طاولة المطبخ، أو أكون أنا من جاء بها، قبل أن تجف مياه «**الكتل أو كنكة القهوة**» تكون «**منى**» قد كونت فكرة كاملة عن الكتاب وقضيَّته الأساسيّة ومؤلّفه، ومكانته بين المؤلّفين والكاتبين في ذلك المجال ومنهجه بحيث يمكن لها تصنيفه، وتحديد كيفيَّة الاستفادة به ووقتها، وغير ذلك من أمور قد يستغرق غيرها يومين أو ثلاثة في قراءة الكتاب –كلّه– ليصل إلى مَا وصلت إليه منه في عشر دقائق تزيد قليلا أو تنقص قليلا.

عودة إلى تقرير «**منى**» عن «**مشروع الفكر الغربيّ**» وندوة مناقشة التقرير :

- فاجأتنا د. «**منى**» بتقرير مفصَّل في خمسمائة صفحة مطبوعة، قامت بطباعتها بالحاسوب الخاص بها.
- أعلنّا عن الندوة ودعونا بعض الأشخاص؛ ولكن الوقت الَّذِي حدّد لم يكن كافيًا لحضور أحد من خارج دائرة المعهد، وذلك يعني أن الحضور لم يكونوا سوى إداريّين مختلفي التخصّصات وباحثين أو ثلاثة كانوا يعملون معنا. وبعض طلبة الدراسات العليا.
- طُلب من «**منى**» أن تلخّص تقريرها الضخم بساعة واحدة لإفساح المجال للحضور لمناقشتها في ساعة ونصف ومعرفة إلى أين ستتجه د. «**منى**» بهذا المشروع الهائل الَّذِي لو أقيمت جامعة كاملة للعمل فيه وعليه فلن يكون ذلك كثيرًا عليه، لم يقرأ أحدٌ التقرير سواها، وأمّا أنا فطلبت منها قبل الندوة أن تحدّد الصفحات الأساسيّة التي أخرج منها بفكرة عامَّة لكنَّها كاملة بقدر الإمكان، وأن أعينها بذلك على تحديد مَا تستطيع تقديمه في ساعة واحدة قد نقنع مدير الجلسة بمدها بربع ساعة.

وبدأت الجلسة –الندوة، ومن المعروف عن «**منى**» أنّها إذا لم تجد تفاعلا حقيقيّا من مستمعيها مع انتباه تام فإنّ ذلك يربكها ويصيبها بالإحباط الشديد، أمضت «**منى**» في تلخيصها لتقريرها المجلد ساعة ونصف، حاول مدير الجلسة إيقافها عدة مرات خلال نصف الساعة الأخيرة فلم يفلح، لكنّه ربما أفلح بتنبيهاته لها في زيادة إرباكها وإحباطها.

حتى بدأت تترنح بعد مضي ساعة ونصف وتتماثل إلى السقوط فأسرعت إليها وأجلستها وأتيتها بماء، ثم طلبت منها أن تظل جالسة وتجيب عمّا قد يثار من الأساتذة فلم يتمكن مدير الجلسة من تلخيص مَا

قالت، ولم تثَر أيّة أسئلة ترفع من الروح المعنويَّة «**لمنى**» وتشعرها بأنّها قد فُهمت؛ بل أثيرت تعقيبات غير مشجعة إلى حدّ مّا، انصبّت معظمها على المقارنة بين طرح «**منى**» والخطة المنشورة. **خلاصة تقرير «منى» كانت :**

- إنّ «**الفكر الغربيّ**» لا يمكن أن يدرس أو يلم به بالطريقة التي كانت موضوعة سابقًا في «**خطة الأسلمة**»، لا على مستوى الفلسفات والجذور والمصادر، ولا على مستوى المدارس والتيّارات الداخليَّة فيه، ولا على مستوى تطوّره وسيرورته وثوراته المتَّصلة، وصياغاته المختلفة، ولا على مستوى المفكّرين المؤثّرين فيه.
- إنّ الذين يطمحون من العلماء والأساتذة المسلمين إلى معرفة الفكر الغربيّ لابد لهم من إنفاق سنوات من أعمارهم في الاطّلاع على منابعه ومدارسه وقضاياه ومناهجه ... إلخ، وأن يكون لديهم أدلة أمناء يرتادون بهم مناحي ذلك الفكر مثل د. فاروقيّ ود. المسيري الَّذِي عرفناه فيما بعد، ومثلها.
- وأن يكونوا متقنين لأكثر من لغة من لغات الغرب إتقان أهلها لها ليكونوا قادرين على معرفة جوانب الاتفاق والافتراق بين المدارس الفكريّة الغربيّة المتنوّعة.
- أن تكون لديهم استعدادات خاصّة وملكات تساعدهم وتعطيهم القدرات اللازمة على التعامل مع الأفكار، نشأةً وتطورًا، ومقومات، إضافة إلى الخضوع لبرامج تدريبيّة على أيدي أساتذة مهرة في مختلف جوانب هذا الفكر مثل من ذكرت.
- أن يكون الأساتذة المسلمون قادرين على متابعة مدارس «**نقد الفكر الغربيّ**» في الغرب ذاته، ومعرفة تلك المدارس النقديّة ومنطلقاتها معرفة شاملة، وما اختصّت به كل مدرسة من الجوانب النقديَّة، وأن لا يكون ذلك مصدر زهد في «**الفكر الغربيّ**» أو تقليل من شأنه؛ بل مصدر إثراء وزيادة اهتمام به، واستعداد وتهيُّؤ لدراسته.
- أن يكون الأساتذة المسلمون قادرين على إدراك مسارات التطوّر الأوربيّ، والخلاصات الفكريَّة التي تحكمت في ذلك المسار.
- أن يكون الأستاذ المسلم قادرًا على رصد أهم الإشكاليّات التي صادفت «**الفكر الغربيّ**» خلال مراحل تطوُّره، وكيف كان الفكر الغربيّ يواجه تلك الإشكاليّات.
- أن يكون المسلم واعيًا بالفكر الإسلاميّ وعيًا يمكّنه من إدراك نقاط الافتراق والالتقاء بين الفكرين الإسلاميّ والغربيّ في مسارات : المجالات، المصادر، الجذور، الجدل، المدارس، التطور... إلخ.

- أن يتمكن الأساتذة المسلمون من بناء منهج نقديّ يستوعب «**مناهج النقد**» الغربيَّة للفكر الغربيّ ويتجاوزها إلى أصول وآداب النقد في الفكر الغربيّ، ويتجاوزها إلى أصول وآداب النقد في الفكر الإسلاميّ في مجالات الفلسفة والعلم وما إليها.
- فإذا تمكن العلماء المسلمون من ذلك فعليهم أن يبدأوا ممارسة «**نقد الفكر الغربيّ**» من المنظور الإسلاميّ الَّذِي لابد من معرفة جوانبه المختلفة.
- ومنها ؛ نقد «**الرؤية الكليَّة الغربيَّة**» التي تشكل عالم غيب «**المفكّر الغربيّ**» على أن لا يغفل الناقد المسلم عن انعكاسات تلك الرؤية على علوم الغرب المختلفة ونظم حياته.
- نقد مواقف المدارس الغربيّة من الدين ومحاولاتها لبناء «**لاهوت أرضيّ**» يخضع «**لمركزيّة الإنسان**» ولا يخضع الإنسان لمركزيَّة «**الرب أو الإله**».
- «**نقد الرؤية الغربيّة للإنسان**» ذكرًا كان أو أنثى، ونقد مَا ترتَّب على ذلك من رؤى في الأسرة والمجتمع والدولة والاقتصاد والسياسة.
- «**نقد الرؤية الغربيّة للطبيعة**» وبيان مَا في هذه الرؤية من إشكاليّات.
- «**نقد الرؤية الغربيَّة لمفهوم الزمن**» وكشف تأثر هذه الرؤية بالمواريث التلموديّة والتوراتيَّة، وبروز أفكار النهايات بناءً على ذلك.
- «**نقد الرؤية الغربيَّة للتاريخ**».
- «**نقد الرؤية الغربيّة للحضارة والثقافة**».

وتستمر «**منى**» بإبراز القضايا التي لابد من نقد الرؤية الغربيَّة فيها نقدًا شاملا يقابله وعي وفكر إسلاميٌّ يقدّم الحلول لما اقتنع بأنه معقّد، والبدائل لما هُوَ تالف.

- ثم تتناول «**منى**» «**المنهج العلميّ الغربيّ أو السائد**» وتبيِّن مَا له وما عليه، وضرورة القيام بجهد فكريّ إسلاميّ يساعد على تصحيح مسار «**المنهج**» وتوظيفه بصيغ أفضل.
- ثم تقدم «**الإبستمولوجيا التوحيديَّة**» بديلا عن «**الإبستمولوجيا السائدة**».

من الواضح أنّ هذه الخطة البديلة التي تقدمها الفيلسوفة الكبيرة «**منى**» تحتاج إلى شخصيَّات تقف هِيَ في مقدّمتها، وإلى يمينها حامد ربيع وإلى يسارها المسيريّ والفاروقي ومع الثلاثة مُحَمَّد بدر وجمال حمدان وفضل الرحمن والمهدي بن عبود وعزت بيغوفيتش ومالك بن نبي وأمثالهم، ويكون بين أيديهم عناصر تلقي جيدة قد أسمح لنفسي أن أكون من بينها فلا غرابة إذا ووجهت أطروحتها بذلك الاستغراب !!.

بين منى والمسيري:

إنّ أقرب شخصيَّة مصريّة معاصرة يمكن أن تُقاس إلى «**منى**» أو تقاس «**منى**» إليها هِيَ شخصيَّة المسيري -يرحمهما الله- مع فوارق قد يكون من المفيد التنبيه إليها :

- إنّ «**منى**» انطلقت لدراسة الفكر الغربيّ من تخصّص يعد أهم التخصّصات في العلوم السلوكيّة ألا وهو «**علم السياسة**» في حين انطلق المسيريّ من «**الأدب الانكليزي**»، فعند «**منى**» وبين يديها علم بالفكر الَّذِي تكون فيه «**علم السياسة**» وبنظريَّاته عليها أن تعبّر عنه، وتوظف معرفتها فيه في دراساتها للفكر الغربيّ.
- أمّا المسيريّ فقد انطلق من أدب يعد تعبيرًا عن أفكار الشعراء والأدباء الذين درسهم باتجاه الفكر الغربيّ بعامَّة، فدراسته للفكر الغربيّ أيسر عليه من دراسة «**منى**» له.
- اتّجه المسيريّ نحو «**النماذج المعرفيّة**»؛ لإنّ منطلقاته الأدبيَّة تستدعي «**التفسير**» ومهمة النماذج المعرفيَّة هِيَ «**التفسير**» أساسًا.
- واتجهت «**منى**» نحو «**المناهج**» ؛ لإنّها تبحث عن وسائل «**التوليد**» أكثر من بحثها عن وسائل «**التفسير**». فالتفسير عندها يأتي بعد تكوين ملكة "التوليد".
- منطلق «**منى**» في «**التوليد الفكريّ**» يتجه نحو كيفيَّة إعادة بناء «**الأمَّة القطب**» ولذلك اتجهت نحو بناء «**المنظور الحضاريّ والنسق القياسيّ والإطار المرجعيّ**»، وانطلق المسيريّ من «**القضيَّة الفلسطينيّة**» باعتبارها أبرز إشكاليّات أو أزمات «**الأمّة القطب**» فخرج المسيريّ «**بالموسوعة اليهوديّة**» وبقيّة أعماله الهامَّة في هذا الإطار، وخرجت «**منى**» «**بالأمّة القطب**» و«**مناهج التعامل مع مصادر التنظير وإعادة بناء علوم الأمة**».
- انطلقت «**منى**» من وعي والتزام إسلاميّين في قضايا الأمّة، وانطلق المسيريّ من وعي قوميّ وعاطفة إسلاميَّة.
- لم تكن «**منى**» تفصل بين الدين والحضارة إذ بينهما في فكر «**منى**» تلازم، وجدل، وكان المسيري يرى إمكان الفصل بينهما من خلال رؤيته «**للاتجاهات الوظيفيَّة**».

لا أود أن استرسل في ذلك فقد يكون غيري أقدر على دراسة الشخصيَّتين وإبراز مزايا كل منهما، أمّا أنا فحسبي أن أقول : إنّ وفاة هذين العلميّن في مرض واحد وفي سنة واحدة وفي وقت متقارب كارثة أمَّتيَّة

ومصيبة عامَّة، لمثلها يعلن الحداد وتنكّس الأعلام لو أنَّ قومي يعلمون قيمة كل من هذين العلميّن الذين قد لا يبرز مثل أي منهما أحد قبل عقود.

أمّا أنت يا «**منى**» فأجدني مسوقًا بعاطفة الزوج والزميل والصديق للتمثّل بما قال الخنساء بتصرّف:

يذكرني طلوع الشمس «**من من**»[1] *** وأذكرها لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي *** على أحبابهم لفقدت نفسي.

إنّ قدرات «منى» الفكريَّة لم تكن محصورة في «الفكر الغربيّ والعلوم الغربيَّة» لإنّ لها في «التراث الإسلاميّ» باعًا لا يقل-أبدًا عن قدراتها في الفكر الغربيّ ومعارفه. وما أمتع الحوارات التي كانت تدور بيننا في هذه المجالات، فكثيرًا مَا كنت أعرض عليها أفكارًا ورؤى لأمثال الأئمة : الشافعيّ والقاضي الباقلاني وإمام الحرمين والقاضي عبدالجبار والغزالي فتذهب في تفكير عميق لتقوم إذن يكون المفكّر الألماني أو الانكليّزي .... أو أو قد أخذ فكرته التي اشتهر بها من هذه الفكرة ... وقد تطلب مني كتبًا تقرؤها فتخرج بأفكار لا يخرج بمثلها إلا منى.

لقد كانت منى وحدها أمّة، ولو وضعت منى في كفة ميزان ووضعت جامعة كبرى مثل هارفارد أو أوكسفورد أو بيل لرجحت كفة منى دون أيَّة مبالغة، ولا يضر الفيلسوفة منى أن يجهلها الكثيرون فعلم الله – تعالى- بها يكفيها.

---

[1] هو الاسم المحبَّب الذي كنت أناديها به، ثم اكتشفت أن أمها كانت تناديها به أيضا، ولذلك كانت تحبه يرحم الله الجميع.

كيف استشهدت منى؟!

يبدو أن الذين اغتالوا فاروقي وزوجته غيّروا أسلوبهم ووسائلهم مع منى وزوجها –فبدلا من القتل غيلة أخذوا بوسيلة القتل البطيء ففي العشرين من (مارس 2002م) وعلى الساعة العاشرة جرت عمليَّة اقتحام منظمة لبيوت ومكاتب ترجع لمجموعة كبيرة من المؤسَّسات الإسلاميَّة والقائمين عليها كان من بينها بيتنا منى وأنا ومؤسّستنا الأكاديميَّة للدراسات العليا (G. S. I. S. S) لم أكن في المنزل، وهي لم تكن تنام قبل الصباح فكسرت قوات «أمريكان كستم» باب المنزل كسرًا واقتحم المنزل أكثر من (17) شرطيًّا مدججين بالسلاح، واجتاحوا كل غرف المنزل، ولما وصلوا إلى غرفة نومها، وكانت مستغرقة في النوم أحاط بسريرها ثمانية من رجال الأمن وجهوا أسلحتهم إليها وأيقظوها بعنف، ظنّت أنّها ترى كابوسًا، لم تكن نظارتها على عينيها مدّت يديها لتتأكد من الأصوات التي تسمعها ؛ أهي أصوات أشخاص موجودين، أم هِيَ كابوس فحسب، فوقعت يدها على صدر شرطيّ أو شرطيَّة حقيقيّ سمعت من يزجرها ويطلب منها عدم التحرك. طلبت نظارتها فسلموها لها بصعوبة، طلبت منهم البعد عن سريرها لارتداء ملابسها والذهاب إلى الحمام فألقوا إليها بأقرب مَا وجدوه من الملابس، ورفضوا التنحي أو الخروج من الغرفة، ارتدت قميص نومها، وأفسحوا لها الطريق إلى الحمام لكنهم رفضوا إغلاق الباب، وأوقفوا اثنين من الحراس على باب الحمام، والذي يعرف منى يستطيع أن يدرك حالتها النفسيَة في موقف كهذا، فهي حالة لا يمكن أن توصف كتابة، أو قولا، ثم أنزلوها إلى الدور الأرضيّ في البيت ليبدأوا بعمليَّة استجواب عن كل مَا خطر في أذهانهم عن الأكل والشرب والموارد والأصدقاء الذين يزورونا أو نزورهم والجيران جرى كل ذلك وآخرون يجوسون خلال البيت، ويجمعون كل ورقة أو وثيقة في تصورهم ورسالة ورقم تلفون ونقود، ثم جمعوا أجهزة الكمبيوتر الأربعة التي كانت في البيت وكانت منى تعمل عليها، وكلّها ملأى ببحوثها ودراساتها لمدة قاربت العشرين عامًا فخرجت الحملة من بيت الزوجين باثنين وثلاثين صندوقًا من الكارتون، ولم يبق ركن من البيت أو دولاب أو مكتب إلا وأعطى رقمًا يطابق رقم الصندوق الَّذِي أخذوه «للأمانة»!! وبعد شهرين أعطوا موافقتهم لإعادة مَا تم فحصه وتفتيشه بطريق المحامين، وردت صناديق الحاسوب أو الكمبيوتر الأربعة دون «الهارد دسك» فلم يكن مَا أعيد يصلح إلا لأنّ يلقى في «صناديق القمامة».

كانت الصدمة لا تطاق، فهي فوق تحمّل إنسانة رقيقة مثلها وكانت أعمالها في الحاسوب الخاص بها في جامعة العلوم الإسلاميَّة والاجتماعيّة قد تعرضت لمثل مَا تعرض له البيت، حيث أخذوا مَا يزيد عن ثلاثين جهازًا، وضمّوا إليها ملفات ووثائق الطلاب والأساتذة والعاملين، وخرجوا بما يزيد عن سبعين صندوقًا

من الكارتون، وأعيدت الأجهزة منهم إلى صناديق القمامة لإنّه لم يكن فيها أيّ فائدة أو نفع بعدمَا فعلوه بها.

بعد كل مَا حدث كانت «منى» في حالة ذهول ؛ فكانت كثيرًا مَا تبقى في ملابس الخروج وهي داخل البيت توقعًا وانتظارًا لأيّة مفاجأة، وخوفًا من مجيئهم مرة أخرى، وكل محاولات التطمين منّا ومن محامينا وأصدقائنا لم تكن كافية لإزالة ذلك الَّذِي كان يعتمل في داخلها. وقد بذلت جهودًا كبيرة لإعادة الثقة إليها، وكثيرًا مَا كنت أردد عليها مَا جرى للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) الَّذِي اعترض قافلة كان من بين المسافرين معها لصوص، فسلبوها كل شيء. فأخذ الغزاليّ يرجو كبير اللصوص ليعيدوا له كتبه، ويقول له : إنّها لن تنفعكم بشيء، وهي ضروريّة لي فقال له كبير قطاع الطريق: «أتزعم أنّ العلم الَّذِي تعلمته كلّه في هذه المخلاة ؟ قال : نعم؛ قال: لا خير في علم يستطيع اللصوص أن يسلبوه منك !! كنت أظن قبل اليوم أنّ العلم محفوظ في أدمغة أصحابه وقلوبهم !! ثم ألقى إليه بالمخلاة التي فيها أوراقه وكتبه». يقول الغزالي: «وقد استفدت كثيرًا بحكمة هذا اللص، وقرّرت أن أحفظ علميّ في رأسي وفي صدري بحيث لا يناله اللصوص، ولا يتمكنون من سلبه مني!! فتعجب بذلك، فأقول لها لابد أن يكون في أدمغتنا «خلاصات أفكارنا» بحيث نستطيع إعادة كتابتها، إذا تعرضت لمثل مَا تعرضنا له !!

وإذا كان هناك من يعمل على إضاعة أفكارنا، فذلك دليل على أهميَّة هذه الأفكار وفاعليَّتها إن شاء الله تعالى وينبغي أن لا يزيدنا ذلك إلا تصميمًا وصلابة، فهذا الَّذِي حدث يمكن أن يكون صفحة من صفحات صراع الأفكار في البلدان المستعمرة -كما عرض ذلك مالك بن نبي في كتابه الَّذِي حمل هذا العنوان. فلا ينبغي أن نستسلم ؛ بل علينا أن نواصل السير حتى يظهر الفجر الصادق، وتعود حالة الوعي الحقيقيّ إلى أمّتنا المسلمة إن شاء الله تعالى. وحين قرّرت العودة إلى التدريس في «جامعة القاهرة» كانت حريصة الحرص كلّه – على أن تنقل علمها وخبراتها وتجاربها وفكرها إلى طلابها في الجامعة، فهم الأولى بذلك وهم الأحوج إليه في نظري ونظرها.

بالنسبة لي سوف لن أدخر وسعًا أو مالا أو أيّة وسائل متاحة في جعل أفكارها متاحة، يستطيع الباحثون الجادُّون أن ينهلوا منها، ويبنوا عليها إن شاء الله تعالى، وأن تكون بحوثها ودراساتها صدقة جارية عن نفسها الطاهرة، وامتدادًا لها ولمدرستنا بإذن الله تعالى. وأملي كبير بأن نجد العون من سائر زملائها وزميلاتها وتلامذتها لتحقيق هذا الهدف وإخراج أعمالها الكاملة بإذن الله تعالى. والله تعالى الموفق.